



مكتبات بيت المقدس في عصر سلاطين المماليك



« ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ

١٢٥٠ م - ١٥١٧ م »

تأليف

د . علي السيد علي محمود

كلية الآداب للبنات بالدمام - المملكة العربية السعودية

مما

لاشك فيه أن المكتبات تقدم صورة للحياة العقلية لدى الأمم ، وتوضح بما تشتمل عليه من مؤلفات مختلفة المسار الذي سارت فيه حركة العلوم وأوقات ظهورها منذ أقدم العصور وحتى عصرنا الراهن . وفي حديثنا عن المكتبات في القدس في العصر المملوكي نحب أن نؤكد على حقيقة تاريخية هامة ، وهي ان القدس ليست مجرد مدينة من عشرات الألوف من مدن الأرض ، ولكنها رمز دار حوله الصراع على مدى أجيال عدة في تاريخ المنطقة العربية . والقدس اليوم رمز في صراع جديد قديم بين القوي العربية وقوى البغي والعدوان الآتية من خارج المنطقة تفرض منطق الاستيطان العنصري المتسربل برداء الدين . والقدس في ماضيها القريب كانت رمزاً للصراع بين العرب والقوى الصليبية التي وفدت الى المنطقة تزرع فيها كيانا دخلياً ، فما أشبه اليوم بالبارحة ! ولم تكن القدس بالنسبة للعرب مجرد مدينة على الخريطة ، وإنما كانت بالنسبة لهم أولى القبلتين وثالث الحرمين . ولأن الحب والسلام والحق ينتصر دائماً في النهاية ، فسوف تعود مدينة السلام الى سابق سيرتها ليس بالأمني ، ولكن بتوحيد

الجهد العربي وبمواصله العمل والكفاح ضد عدونا الحقيقي في الداخل والخارج .
ومهما يكن من أمر فإن عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) يحتل مكانة بارزة في عصور التاريخ العربي الإسلامي ، ذلك لأن سلطنة المماليك وحكمها العسكري الطابع والاتجاه كانت افراراً طبيعياً لما ألم بالعالم الاسلامي آنذاك من محن وخطوب ، ممثلة في الوجود الصليبي الذي ظل جاثماً على صدر الأمة العربية قرابة قرنين من الزمان ، بالإضافة الى غزوات المغول للعالم العربي والإسلامي وما نتج عنها من زلزلة الكيان العربي من جهة أخرى ، فضلاً عن أن هذا العصر ونقصد به عصر سلاطين المماليك كان عصر الرخاء والثراء الواسع ، بسبب احتكار سلطنة المماليك في مصر والشام والحجاز للتجارة العالمية بين الشرق والغرب ، بفضل مركز دولتهم الممتاز في العالم .

هذا الثراء وذلك الرخاء ظهرا واضحين في اهتمام كثير من السلاطين والأمراء المماليك ، وغيرهم من رجال ذلك العصر الممتازين في ثقافتهم والمشهورين بحب الخير بالكتب وفنونها والمكتبات وإدارتها .^(١) وأورد لنا كثير من المؤلفين المعاصرين لهذه الفترة معلومات شيقة ونافعة عن المكتبات والكتب ، وطريقة تصحيحها وضبطها ، وشرائها ، والعناية بها ورعايتها ، وتجليدها ، ونسخها ، وكيفية اعارتها لمن يستحقونها والضئنة بها على غيرهم ، فضلاً عن الشروط الواجب توفرها في القائمين عليها ومهام كل واحد منهم .^(٢)

ومما لاشك فيه أنه تبع ازدهار المدارس «الكليات الجامعية» في العصر المملوكي في المدن الكبرى في دولة سلاطين المماليك بوجه عام ، وبيت المقدس بوجه خاص ، أن راجت أسواق ومتاجر الكتب ، التي كانت تفيض بالحياة والحركة ، ويفد إليها العلماء والطلاب من كل فج أما للشراء ، أو القراءة أو الاطلاع .^(٣) كما كانت هذه الأسواق مراكز للنسخ والتجليد أيضاً ، وذلك بسبب النشاط الثقافي الكبير الذي شهدته العصر المملوكي بشقيه ، أي دولة المماليك البحرية ، ودولة المماليك الجراكسة . ومما لا شك فيه أن المدارس المملوكية قد هيأت فرصة قيام تجارة نشطة في الكتب^(٤) كما ساعدت المؤسسات التعليمية على ذلك .

وهنا يجب ان نشير الى أن إنشاء المكتبات في الشرق العربي قد سبق من غير شك حركة النهضة الأوروبية وإحياء العلوم ، بل هو سابق أيضاً على اكتشاف العالم الجديد في سنة (١٤٩٢ م) . فإن أميركا لم تقم فيها المكتبات إلا منذ عام (١٦٢٦ م) ، ولم تبلغ مركز الصدارة في النهضة المكتبية إلا في القرن الحالي ، على حين كان لنا في الشرق العربي في كل من العراق والشام ومصر ، بل وفي الأندلس

الإسلامية مكتبات بالغة التقدم والأزدهار ، وخاصة المكتبات في المدارس والكلية الجامعية في عصر سلاطين المماليك ، في الوقت الذي اقتصر فيه وجود المكتبات في أوروبا على الأديرة بكتبها الدينية الخاصة بالمواعظ والصلوات ، والقانون الكنسي واللاهوت ، ^(٥) ويؤكد هذه الحقيقة أحد المؤرخين الأوروبيين بقوله : إن المكتبة الكاتدرائية في مدينة بامبرج bamberg لم يكن بها إلا ستة وتسعون كتاباً فقط ^(٦) . ولم يكن غيرها من الكاتدرائيات والجامعات الناشئة لا تحوي سوى القليل من كتب الطب والمنطق والفلسفة ، التي أخذوا معظمها على العرب ترجمة أو تأليفاً عن طريق صقلية والأندلس . كما أن الجامعات الأوروبية الأخرى أمثال أكسفورد ، وكمبرج لم تعرف نظام المكتبات إلا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد ، حتى أن هذه الفترة تسمى في أوروبا « عصر إنشاء المكتبات » ^(٧) .

وإذا كان سلاطين المماليك قد اهتموا بعمارة القلاع والحصون والأبراج الحربية وشحنها بالذخيرة والعتاد ، فإن المكتبات أو خزانات الكتب - حسب مصطلح ذلك العصر - في مدارسهم وزواياهم ومساجدهم ودورهم تركز بالكتب والمصاحف والربعات الشريفة ، ولاشك أن أي مؤسسة تعليمية مملوكية بدون مكتبة « خزانة كتب » كانت أشبه بقلعة حربية بدون ذخيرة ، هذا على عكس ما يردده الاستاذ THompson في كتابه عن المكتبات في العصور الوسطى من أن الشرق الإسلامي قد تخرب وانهار ، بسبب غزوات المغول في منتصف القرن السابع الهجري ، الثالث عشر للميلاد ^(٨) . وهو رأى بجانب الحقيقة والصواب ، حيث من المسلم به أن المغول قد قضوا فعلاً على الخلافة العباسية في بغداد ، وأصبحت حضارتهم بالضرر البالغ ، ودمرت مكتبتها الزاخرة بشتى العلوم والمعارف ^(٩) ولكن الدارس للتاريخ المملوكي في مصر والشام والحجاز يدرك بما لا يدع مجالاً للشك أن العصر المملوكي كان عصر النهضة المكتبية في التاريخ العربي ، وبالتالي كان عصر التأليف العلمي الذي أمدنا بموسوعات و ذخائر هي أجمل ما أنتج العقل الإسلامي على طول التاريخ وعرضه ، كل ذلك قبل اكتشاف العالم الجديد الذي تتزعم فيه الولايات المتحدة الأمريكية الحركة المكتبية في العالم اليوم ^(١٠) .

وقد كان لمدينة بيت المقدس أهمية خاصة بالنسبة للسياسة المملوكية بوجه عام ، وذلك راجع الى طبيعة النظام المملوكي الذي اعتمد أساساً على شراء وجلب المماليك من أقطار شتى وتربيتهم ثم عتقهم ومنحهم الرتب المختلفة وكذلك الاقطاعات المختلفة ، وحتى ينسى لهم معاصروهم أصلهم غير الحر فقد تركزت سياستهم في الحكم في شقين ، الشق الحربي والذي تمثل في قيامهم بدور القوة الضاربة التي

دافعت عن الاسلام والمسلمين ، في مواجهة أهم خطرين تعرضت لهما الأمة الاسلامية ، وهما الخطر الصليبي والخطر المغولي^(١١) وقد تحقق لهم ما كانوا يصبون اليه خلال ما أحرزوه من انتصارات في المنصورة وفارسكور وعين جالوت . أما الشق الديني وهو الظهور بمظهر حماة الإسلام والمسلمين والعقيدة الإسلامية الى جانب العناية بمقدسات المسلمين ، فقد انعكس أثر ذلك الشق في سياستهم الدينية في مدينة بيت المقدس بوجه خاص نظراً لطبيعة المدينة الدينية باعتبارها أحد الأماكن المقدسة ، والتي تتعلق بها قلوب المسلمين في شتى أنحاء المسلمين في أنحاء البلاد ، فضلاً عن أنها كانت ركيزة هامة كان عليهم أن يولوها من الرعاية والعناية ما يبرزون به الجانب الديني في سياستهم .

ولقد ظهر أثر ذلك كله فيما خلفه العصر المملوكي من منشآت تعليمية وخيرية واجتماعية ضخمة ، كانت مراكز للنهضة الثقافية بمدينة بيت المقدس في ذلك العصر ، إذ شيد سلاطين وأمراء المماليك الكثير والكثير ، بل أن مجير الدين الحنبلي وهو أحد مؤرخي بيت المقدس المعاصرين لتلك الفترة ، قد عدد لنا أكثر من أربعين مدرسة في بيت المقدس وهي الكليات الجامعية ، وأكثر من عشرين زاوية ، فضلاً عن الربط والخوانق والمساجد ومكاتب تعليم الأطفال^(١٢) . بل وتشير بعض المراجع إلى أن المشاهد والترب اتخذت كمؤسسات تعليمية ، حيث رتب بها منشئوها المدرسين والطلبة والمكتبات^(١٣) . والحقيقة أنها أعداد كبيرة جداً بالنسبة لصغر حجم المدينة التي بلغ محيطها في ذلك الوقت اثني عشر ميلاً ، فضلاً عن قلة أعداد السكان بها عن غيرها من المدن الكبيرة مثل القاهرة ودمشق وحلب وغيرها . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى اتساع دائرة النشاط العملي فيها ، والذي تؤكده المصادر المعاصرة^(١٤) . هذا بالإضافة إلى أن تلك المؤسسات التعليمية لم تكن كلها من إنشاء السلاطين والأمراء المماليك ، بل أسهم في إنشائها القادرون من أهل الخير من رجال ونساء ، فأنشأوا ما أنشأوا عنوان الغيرة على العلم وبث الفضائل^(١٥) .

كما تجب الإشارة إلى أن مدينة بيت المقدس في العصر المملوكي قد شهدت انتعاشاً في مجال الحياة الثقافية لعدة عوامل ، منها أنه مع عظم المكانة الدينية لكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فإن الحياة فيها كانت قاسية ، لذا فإن العلماء لم يستسيغوا الإقامة الطويلة فيهما ، فضلاً عن بعدهما عن القاهرة مركز النشاط الحضارى في العالم الإسلامي في ذلك العصر بعد سقوط بغداد في أيدي المغول والقضاء على الخلافة العباسية ، التي تم إحيائها في القاهرة ، أما مدينة بيت المقدس فكانت الحياة فيها أطيح نسبياً لاعتدال جوها ، فضلاً عن وقوعها داخل النشاط

الحضارى للدولة الإسلامية آنذاك^(١٦) بحيث غدت قبلة العلماء وطلاب العلم والمعرفة الذين وفدوا إليها وتلقوا جانباً من تعليمهم بها وحصلوا على كثير من الإجازات العلمية من مشايخها أو المجاورين بها^(١٧). يضاف الى ذلك أن القدس كان لها عشاقها الكثيرون ، وخاصة بعد الغيبة الطويلة التي انتزعت فيها من أحضان الدولة الإسلامية الأم وظلت تحت الحكم الصليبي حوالي قرن ، أي منذ عام (٤٩٣هـ / ١٠٩٩م) وحتى عام (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) حين استردها السلطان صلاح الدين الأيوبي . كما كان لها جاذبيتها الخاصة في عيون المسلمين مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حيث ارتبطت بالوجدان الإسلامي بكونها أولى القبلتين وثالث الحرمين ، فضلاً عن ارتباطها بقصة الإسراء والمعراج ، تلك الجاذبية الخاصة التي تتضح أشد الوضوح عند مثقفي ذلك الزمان ، ولا سيما من تخصص منهم في العلوم الدينية .

كذلك شهدت تلك الفترة وفود كثير من الأسر العربية والمسلمة من المشرق والمغرب الى بيت المقدس ، نظرا لوضعها الجديد والذي حظيت خلاله بنوع من الأمن والاستقرار ، بالإضافة الى الهجرات الناجمة عن تدهور أحوال العالم الإسلامي في المشرق بسبب الغزوة المغولية ، وفي المغرب بسبب ما عرف باسم حركة الاسترداد ، مما جعل سلطنة المماليك في مصر والشام والحجاز بمثابة الحصن الأخير للحضارة العربية الإسلامية ، والحقيقة ان كتب الترجمة والحواليات حافلة بأسماء كثيرين من أولئك العلماء الذين وفدوا الى بيت المقدس ، وأقاموا بها طوال عصر سلاطين المماليك ، بما يؤكد أن الحياة العلمية بها كانت مزدهرة ، وأنها أصبحت مركزاً إسلامياً ضخماً لثقافة عربية واسعة النطاق ، كما أنها غدت إحدى المراكز العلمية الهامة والنشطة في دولة سلاطين المماليك ، حيث جذبت إليها العلماء من شتى البلدان مثل العراق وايران والأندلس والمغرب وتركستان وبلخ وشيراز واذربيجان وهرات وقرمان واليمن والهند ، بحيث لا نغالي إذا قلنا أن بيت المقدس في ذلك العصر غدت مهوى أفئدة كثير من العلماء وطلبة العلم^(١٨) .

كذلك يجب أن نشير الى أنه كان من نتيجة هجرة كثير من العلماء الى بيت المقدس في ذلك العصر ، أن نشأت كثير من الأسر العلمية التي أثرت الحياة العلمية في القدس بما أنجبته من علماء ، وما كان لهؤلاء من جهود علمية ومؤلفات . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أسرة بني كيكليدي نسبة إلى العلامة صلاح الدين خليل بن كيكليدي بن عبد الله العلاني (٧١٦هـ / ١٣٥٩م) ، وأسرة بني القلقشندي نسبة إلى الشيخ تقي الدين القلقشندي (٦٧٨هـ / ١٢٧٦م) . وأسرة بني جماعة

نسبة إلى الشيخ سعد الدين بن جماعة (ت ٥٧٥هـ / ١٢٧٦م) ، وأسرة بني الديري نسبة الى قرية يقال لها الدير من بلاد نابلس ، وأسرة بني قدامه نسبة الى الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامه (ت ٦٠٧هـ / ١٢٠٨م) ، وأسرة بني غانم المقدسي شيخ الخانقاه الصلاحية بالقدس زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي . وقد كان لنشأة مثل هذه الأسر العلمية اثر كبير على أثراء الحياة الثقافية في مدينة بيت المقدس في ذلك الوقت ، بما أنجبت تلك الأسر من علماء أفاضل وكثير من السيدات الشهيرات ، وما كان من مشاركة أبناء وبنات تلك الأسر وبخاصة في مجال العلوم الدينية ، كما أنجبت مدينة بيت المقدس في ذلك العصر عددا كبيرا من المفكرين والعلماء الذين قدموا لنا خلاصة أفكارهم من مؤلفات قيمة وموسوعات ضخمة مختلفة لا زلنا نعتمد عليها ونستفيد منها في العصر الحاضر ، بفضل التقدم العلمي الكبير الذي أصابته المدينة آنذاك ^(١٩) .

ولا جدال في أن العصر المملوكي كان عصر النهضة المكتبية في تاريخ الوطن العربي ، وتشهد بذلك كثرة المكتبات التي ذخرت بها المساجد والزوايا والربط والخنقاوات والترب والمجاهد ، في المدن التي خضعت للحكم المملوكي بوجه عام وبيت المقدس بوجه خاص ، حيث كانت خزانة الكتب في الحرم القدسي الشريف من أهم المكتبات في بلاد الشام ، لما تحتويه من كنوز المعرفة ، ففيها نصف مصحف قديم بخط كوفي كتب عليه « كتبه محمد بن الحمد بن الحسين بن بنت رسول الله » ^(٢٠) كذلك لايزال بها بعض نسخ من القرآن الكريم والتي أحضرها السلطان صلاح الدين الأيوبي من مكتبة دمشق عقب فتحه لبيت المقدس ^(٢١) . كما تؤكد لنا المصادر المعاصرة مدي حرص سلاطين المماليك على تزويد تلك المكتبة بالكتب النفيسة ^(٢٢) . بل لقد شاركهم في هذا الاهتمام بعض ملوك المغرب العربي ، مما يدل على مكانة بيت المقدس لدى هؤلاء الملوك والسلاطين ^(٢٣) . وطوال العصر المملوكي كانت محتويات هذه المكتبة في تزايد مستمر ، بحيث تضخمت بشكل ملحوظ ، بما يرجح أن هذا التضخم كان وراء نقلها ، وبخاصة الوثائق وهي التي أصبحت تعرف باسم وثائق الحرم القدسي الشريف الي مكان خصص لها في الجزء الجنوبي الغربي من ساحة الحرم والذي عرف فيما بعد باسم المتحف الإسلامي . هذه الوثائق تم الكشف عنها في شهر اغسطس عام (١٩٧٤م) بواسطة نائبة مدير المتحف أمل أبو الحاج في إحدى الخزائن التي كانت مغلقة ومهجورة منذ زمن بعيد ، حيث دفعها حب الاستطلاع إلى معرفة ما كان بداخل إحدى هذه الخزائن المغلقة ، فاكشفت فيها مجموعة أخرى من الوثائق المملوكية عددها ٣٥٤ وثيقة . وبعد ذلك بسنتين عادت

فاكتشفت مجموعة أخرى من الوثائق الأولى ، فأصبح مجموع عدد الوثائق المكتشفة يتراوح ما بين ١٣٠٠ و ١٥٠٠ وثيقة تغطي فترة زمنية تمتد حوالى ٢٥٠ سنة ، من سنة (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م) وهو تاريخ اقدمها الى سنة (٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م) وهو تاريخ أحدثها^(٢٤) . ومنذ عام (١٩٨٠ م) بذلت عدة محاولات لدراسة ونشر هذه المجموعة من الوثائق قام بها نفر قليل من الباحثين العرب والأجانب^(٢٥) وترجع أهميه هذه المجموعة من وثائق الحرم القدسي الشريف إلى أنها تعنى بكثير من الأمور ، ففيها مراسيم سلطانية أو أميرية وعددها سبعة أو ثمانية منها مرسوم السلطان الظاهر بيبرس (الوثيقة رقم ٣٤) ، ورسوم للسلطان الناصر محمد بن قلاوون (الوثيقة رقم ٦) ، ورسوم للسلطان الأشرف شعبان بن حسين (الوثيقة رقم ٨) ، ورسوم للسلطان جقمق (رقم ٣٠٤ ، ٣٠٨) ، ورسوم للسلطان خشقدم (رقم ١) . وجميع هذه المراسيم تتعلق بأوقاف الحرم القدسي الشريف ، وتقع تواريخها بين سنتي (٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م ، ٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م)^(٢٦) . إلى جانب صكوك بيع وشراء ، ووثائق وقف ، وقصص مرفوعة للسلطان المملوكي في القاهرة أو نائبه في القدس^(٢٧) ، وحصر ترككات من قبل ديوان المواريث الشرعية ووصايا ، ومحاضر جلسات للحكم العزيز وأحكامه ، وحصر وبيع ترككات ، وشهادات ، وإيصالات ، بالإضافة إلى استبدال وقف ، أو بيع غراس وقف ، وصلح ، وتمليك وإذن ببناء وفسخ العقد ، ومحضر كشف وغيرها من الأمور^(٢٨) .

والجانب الهام في هذه الوثائق أنها إلى جانب تناولها لكثير من نواحي الحياة في مدينة بيت المقدس في ذلك العصر أنها كتبت في الغالب في القدس ، وهي بذلك تتناول تاريخ المدينة المقدسة في تلك الحقبة المملوكية . وغنى عن البيان أن الادب التاريخي المكتوب عن مدينة بيت المقدس باللغة العربية في عصر سلاطين المماليك ، انما يتركز في كتاب الأنس الجليل لمؤلفه مجير الدين الحنبلي ، وبعض كتب الفضائل التي لم تكن كتباً تاريخية بالدرجة الأولى ، وإنما هي كتب كان الهدف منها بيان فضل المدينة على غيرها من المدن الأخرى ، وفضل الصلوات فيها وغير ذلك من الأمور ذات الصبغة الدينية البحتة التي كان الهدف منها حث المعاصرين على التمسك ببيت المقدس في مواجهة الاطماع الصليبية وما خلا ذلك لا نجد سوى مواد مبتسرة عن هذه الفترة من تاريخ القدس في كتب ابن فضل الله العمري وكتب المقرئزي وابن تغري بردي وقليل من الكتب الأخرى وبعض كتب التراجم . ومن هنا فإن وثائق الحرم القدسي جاءت لتسد فراغاً ملموساً وحقيقياً في تاريخ القدس في العصر المملوكي ، ولذلك فإن العكوف عليها وتحقيقها ونشرها سيؤدي بلا شك الى إضافة

معلومات حية عن حياة الشعب اليومية ، فضلاً عن مؤسسات الحكم والدولة ، ويمهد السبيل الى بحوث أكثر في تاريخ القدس خاصة والبلاد الفلسطينية عامة^(٢٩) .

مكتبات المدارس :

لم يقتصر وجود المكتبة في مدينة بيت المقدس في العصر المملوكي على الحرم القدسي الشريف أو المسجد الأقصى ، بل تشير كثير من المراجع إلى أنه لا تكاد تخلو مدرسة من مدارس مدينة بيت المقدس في ذلك العصر من خزانة للكتب باعتبارها إحدى حوافز العلم في ذلك الوقت ، وباعتبارها جزءاً لا يتجزأ ضرورياً وحيوياً في تكوينها . والحقيقة أنه قل أن تؤسس مدرسة في العصر المملوكي بوجه عام دون أن يحوي تصميمها المعماري خزانة تزود بالكتب المختلفة في علوم الدين والحياة ، لتعين المدرسين والمعידين وطلبة العلم الشريف في ذلك الوقت ، مما يدل على أن سلاطين وأمراء الممالك قد أدركوا أهمية الدور الذي تلعبه المكتبة ، فخصصوا لها مكاناً في مدارسهم^(٣٠) . ومن أمثلة المكتبات التي وجدت في مدارس بيت المقدس في ذلك العصر مكتبة أو خزانة المدرسة الأشرفية التي نسبت إلى السلطان الأشرف قايتباي والتي عمرها السلطان خشقدم بالقدس . فقد أعاد السلطان الأشرف قايتباي بناءها عام (٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) . فجاءت مدرسة كبيرة في غاية الزخرف والجمال ، ورتب بها شيخاً وصوفيه ودرساً ، وجعل بها خزانة كتب جليلة ، ووقف عليها مصحفاً شريفاً وغيره من الربعات والكتب ، وكان يقوم بوظيفة خزن الكتب وأمانتها مفرق للربعة الشريفة على حد قول وثيقة الوقف^(٣١)

وجدير بالذكر أن المكتبات في مدارس بيت المقدس كانت موضع اهتمام السلاطين والأمراء الممالك على السواء ، ولم تكن مجرد مخازن للكتب تترك مغلفة على ما فيها من كتب ، بل كانت محور النشاط التعليمي في تلك المؤسسات التعليمية ، والتي لم تكن للتعليم فقط ولكن أيضاً . وتحصيل العلم بالبحث والدراسة في الكتب نفسها ، والنقل مما تحويه من مادة علمية ثمينة عظيمة القدر ، إذ تذكر المصادر المعاصرة أن مهمة المدرس في ذلك العصر هي أن يسهل على الطلبة الفهم ، ويحثهم على الاشتغال بالعلم الشريف ، ويدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون ، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق ، وإن كان منتهين فلا يلقي عليهم الواضحات ، بل أن عمل المدرس لم يكن هو التعليم فقط بل هو إعداد الطلبة وتدريبهم على البحث بأنفسهم^(٣٢) ومن ثم كانت المكتبات وثيقة الصلة بروح التعليم ، ومكاناً للرقى الفكري والاشعاع الروحي ، ومركزاً للمعرفة ووحدة وظيفية لها غاية تعليمية ، ورسالة حيوية في المدرسة

الملوكية ، أكثر مما هي مكان به مجموعة كتب محفوظة ومحبوسة عن الطلبة ، حيث كانت ثرواتها الضخمة من مجموعات الكتب والمخطوطات في خدمة جمهور المدرسة من مدرسين وطلبة ، قاصرة عليهم الى حد كبير ، ولهذا كانت المكتبة عنصراً هاماً وركناً أساسياً في التربية في هذه المدارس ، لا يمكن الاستغناء عنها أو إنكار فضلها ، فهي بما حوته من كنوز المعرفة كانت بمثابة مصادر للبحث ، وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن المكتبة في المدرسة الملوكية بوجه عام ، وفي بيت المقدس بوجه خاص كانت بمثابة مؤسسة اجتماعية تعليمية لا تتقيد بمنهج مرسوم أو برنامج معين ، وتغلب عليها الصبغة الحرة بدلا من الصبغة الرسمية في المدرسة ، لأن خير تعليم هو ذلك الذي يستطيع الفرد فيه أن يناله أو يحصله بنفسه وهو ما نطلق عليه بمصطلح العصر الحديث التعليم الذاتي ، في جو تسوده الحرية والرغبة والميل ، فيفيد الإنسان وتبرز شخصيته بعد ان تعود على البحث بنفسه على المصادر ذاتها ، وهذا هو السبيل القويم للتعليم^(٢٢) .

وقد ساعد كل هذا على نبوغ الكثير من الطلبة في مختلف ميادين المعرفة السائدة في ذلك العصر ، وهذا كله يرجع بلا شك الى وجود خزانات الكتب النفسية في المدارس الملوكية ، والتي لا يمكن انكار فضلها وأثرها في تطوير الحياة التعليمية عامة أبان ذلك العصر الزاهر ونستطيع أن نؤكد أنه كان للمكتبات المدرسية أثر كبير في إرساء قواعد النهضة الثقافية في مدينة بيت المقدس في عصر سلاطين المماليك ، في مختلف النواحي الفقهية والأدبية والعلمية جميعاً ، وازدهار حركة البحث والدراسة والتأليف ، والدليل على ذلك ما خلفه لنا علماء بيت المقدس من تراث ضخم في مختلف العلوم والفنون ، ويرجع ذلك إلى كثرة المكتبات بالدرجة الأولى ، إلى جانب تعظيم كثير من سلاطين وأمراء المماليك لأهل العلم ، وشعور هؤلاء العلماء والفقهاء بواجبهم في ادائه^(٢٣) .

مكان المكتبة في المدرسة :

أما عن مكان المكتبة أو خزانة الكتب في المدرسة الملوكية ، فيهما ان نشير أولاً إلى الاختلاف الواضح بين مدلول لفظ الخزانة في العصر الملوكي ، والمكتبة في العصر الحديث ، فالخزانة في العصر الملوكي كانت تستخدم لحفظ الكتب فقط في الوقت الذي اتخذت فيه الايوانات في المدرسة كمكان للاطلاع والبحث والنسخ ، حيث كانت المدرسة في أوقات العبادة وهي الصلاة كانت عبارة عن قاعات للقراءة والبحث والنسخ ، وبخاصة عقب انتهاء المدرس من إلقاء دروسه ، وغالباً ما كانت الخزانة

تحتل مكاناً خاصاً ضمن عمارة المدرسة ، وغالباً ما كان موقعها في أيوان القبلة ، أو في مكان متوسط من المدرسة ، بحيث تكون كتبها في متناول الجميع من العلماء والطلبة الدارسين في مختلف الأيوانات ، وبحيث تكون في نفس الوقت بعيدة عن دورات المياه والرطوبة ، ولذلك كان انسب مكان لها هو إيوان القبلة الذي به المحراب^(٣٦) . وإذا حدث وضاعت خزانة الكتب بما تحويه من مصاحف وربعات شريفة وكتب مختلفة نتيجة النمو في حجم المجموعات ، فغالباً ما كانت تستخدم خزانة أخرى قريبة منها بالمدرسة نفسها ، كذلك كان يراعى وجود شبك حديدي في أعلى مكان الخزانة حتى لا تضر الشمس بالكتب وجلودها ، كما ان عملية النسخ من الكتب أو القراءة فيها ودراستها ، كانت غالباً ما تتم نهاراً في الأوقات المحددة في وثائق الوقف^(٣٧) . كما كان أثاث هذه الإيوانات بسيطاً ، حيث تفرش أرضيتها بالحصير أو البسط والسجاجيد ، وبذلك يجلس راغبو الأطلاع والدراسة على الأرض وهو ما يتفق مع الروح الشرقية ، ومن المرجح أن تكون بعض مكتبات بيت القدس قد وجدت بها الكراسي للجلوس عليها كغيرها من مكتبات المدن الأخرى التي خضعت لحكم سلاطين المماليك^(٣٨) .

كذلك تجب الإشارة إلى أن مكتبات المدارس في بيت القدس في ذلك العصر كانت كغيرها من مكتبات المدن الإسلامية الخاضعة لسلطنة المماليك مكتبات متخصصة حسب المواد التي تدرس في كل مدرسة^(٣٩) . كما كانت كتبها في متناول اليد أثناء الدروس المختلفة وبعدها ، وتمت المدرسين والمعيدين والطلبة بالمصادر التي تلزمهم في مادة التخصص ، وهذا مما ساعد على زيادة فرص التعليم التلقائي ، وخدمة طائفة خاصة من العلماء والباحثين ، هذا بعكس ما هو معروف عن المكتبات الحديثة في ذلك العصر .

أما عن طريقة حفظ الكتب في مكتبات المدارس في بيت المقدس في ذلك العصر ، فإنها لم تختلف عما كان متبعاً في غيرها من المدن الأخرى ، فقد كان هناك خزانات كبيرة وصغيرة مصنوعة من الخشب ، كما وجدت في بعض المكتبات رفوف حائطية مثبتة في جدران المكان المتخذ خزانة ، لوضع الكتب عليها بعيداً عن الأرض لكي لا تتندى أو تبلى^(٤٠) . وربما كانت بعض الكتب تعالج موضوعاً واحداً توضع في دولا ب مستقل ، أو جزء منه ، أو على رف خشبي واحد ، كما كانت الكتب توضع أحياناً بعضها فوق بعض ، الصغير منها فوق الكبير على الرفوف ، وفي ذلك حماية لها من الأتربة والأرضة وغيرها . أما الكتب الثمينة من المخطوطات النادرة والكتب غير المجلدة أو المنسوخة على هيئة مجاميع أو ملازم ، فكانت تحفظ في الدواليب بالذات

على ما نعتقد ، بينما حفظت المصاحف الكريمة والربعات الشريفة في المكتبات أو في صناديق من الخشب أو من الخشب المصنوع بالنحاس والمكفّت بالذهب والفضة^(٤١) . أما عن نظم الإعارة داخل تلك المكتبات فالحقيقة أن إعارة الكتب للطلبة والمدرسين أمر استحسنة الأولون والآخرون لما فيه نشر العلم خاصة ، وأفادة الناس عامة^(٤٢) إلا أنه قد وضعت بعض القيود لضمان تنظيم عملية الإعارة ، وللمحافظة على الكتب والمصاحف والربعات والمخطوطات من الضياع وخوفاً عليها من التلف^(٤٣) . كما أن فكرة الضمانة كانت معروفة في عصر سلاطين المماليك بدليل ما أورده السبكي في حديثه عن واجبات خازن الكتب من قول وحق عليه الاحتفاظ بها ، وترميم شعثها ، وحبكها عند احتياجاتها للحبك . والضنة بها على من ليس من أهلها ، وبذلها للمحتاج إليها ، وأن يقدم في العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء . وكثيراً ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته ، وهو شرط صحيح معتبر : « فليس للخازن أن يعبر ألا برهن .. »^(٤٤) لكن من المرجح أن تكون مدارس بيت المقدس شهدت ما حدث في مثيلتها في ذلك العصر من محاولات باستثناء بعض المدرسين وغيرهم من أعلام ذلك العصر من فقهاء وعلماء وأدباء من تلك القيود التي تم فرضها على الإعارة الخارجية ، بينما كانت الإعارة الداخلية مكفولة للجميع نهاراً أو ليلاً ونهاراً^(٤٥) .

وقام بالإشراف على خزانة الكتب بالمدرسة « خازن الكتب » الذي عهد إليه بترتيب الكتب وتنظيمها وحفظها وحبكها وترميمها بين حين وآخر ، فضلاً عن إرشاد القراء إلى ما يلزمهم من مراجع . لذلك كان يختار لخزانة الكتب في المدرسة فقيه أو عالم يراعي فيه سعة العلم والأمانة^(٤٦) . وبذلك لم تكن مهمة أمين المكتبة أو خازن الكتب حسب مصطلح ذلك العصر قاصرة على مجرد معرفة ما تحتويه المكتبة الموكلة إليه من كتب يقوم بترتيبها فقط ، بل تعدى ذلك إلى شمولها بكل أنواع الرعاية من ترميم وتجليد وحبك إلى جانب حفظها من الضياع^(٤٧) .

كذلك من المرجح أنه وجد في بعض مكتبات بيت المقدس في ذلك العصر عدد من النساخ لنسخ ما يطلب من أحدهم نظير أجر يدفع له من ريع الوقف ، لأن الطباعة لم تكن معروفة آنذاك ، وكان بعض النساخ يمتاز بجودة الخط ، ومنهم من كان يصل إلى مرتبة الخطاط المجيد أحياناً . وكانت مهمة هؤلاء تزويد المكتبة بأكثر من نسخة لبعض أمهات الكتب ، كذلك من مهمة النساخ أيضاً ترتيب الأوراق المنسوخة وتقديمها للمجلد وهو في الغالب أحد أعوان الخازن « أمين المكتبة » ، وربما كان الناسخ نفسه أحد هؤلاء المجلدين^(٤٨) . وكان من حق الناسخ ألا يكتب شيئاً من

الكتب المضللة ، ككتب أهل البدع والأهواء ، وكذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع الله تعالى بها والتي تضيع الزمان ، وليس للدين بها حاجة ، وكذلك كتب أهل المجون ، واشترطت كتب المعاصرين على كل من يستأجر ناسخاً أن يبين له عدد الأوراق والأسطر في كل صفحة سيقوم بنسخها ، أما الأخبار المستخدمة في عملية النسخ فكان يتم الاتفاق عليها وتحديدها وجرت العادة ان يتحمل الناسخ ثمن هذه الأخبار إلا في حالات قليلة^(٤٩) .

كما وجد في بعض المكتبات شخص أصطلح على تسميته « المناول » وهو صاحب وظيفة وسط بين الخازن والفرش في المكتبة المملوكية ، والمناول لا يمكن لأي مكتبة أن تستغني عنه . لأن المكتبة تعتمد في تأدية خدماتها على نشاطه وتعاونه مع الخازن ، حيث يحضر الكتب والمصاحف والربعات الشريفة من الخزانة ويقوم بتوصيلها الي كل من يطلبها ، وكان يعرف أماكن الكتب ، ويعثر عليها بسهولة ، دون معرفته غالباً لما تحويه من مادة علمية ، وعندما ينتهي القراء أو الناسخون وغيرهم من طلبة العلم والباحثين من الكتب ، كان يقوم بإرجاعها إلى الخزانة أو الرفوف ويضعها في أماكنها ، كل ذلك تحت إشراف الخازن ، ولذلك كان يعبر عنه أحياناً بالخادم أو حامل المصاحف أو خادم الربعة الشريفة^(٥٠)

وربما كان الخازن يجمع بين وظيفتي الخازن والمناول في آن واحد ، وربما يجمع بينهما وبين وظيفة الفرشة في المكتبة أيضاً . ولكن كان هناك غالباً من يقوم بالفرشة والبوابة لحفظ المكان وما به من بسط وفرش وقناديل وغير ذلك ، ويظهر أن عدد موظفي المكتبة كان يتوقف على مجموع المدرسين والطلبة الذين تخدمهم المكتبة ، وعلى نوع الخدمات التي تؤدي لهم ، وكل ذلك بلا شك يعتمد على حجم المدرسة والأوقاف المحبوسة عليها . كما تجب الإشارة إلى أن المكتبات في ذلك العصر قد وجدت في نظام الأوقاف خير دعامة تشد أزرها وتمكنها من البقاء والاستمرار في أداء رسالتها . أو بعبارة أخرى أنه لم تكن حياة المدرسة وغيرها من المؤسسات التعليمية رهنا بحياة مؤسسها ، حيث كان يوقف عليها من الأوقاف ما يضمن به لها الاستمرار في أداء رسالتها عقب وفاته ، وهذه الأوقاف قد تكون أرضاً زراعية أو عقارات وأسواق وحيوانات وحمامات تدر إيراداً ثابتاً ، ينفق منه على صيانتها ودفع مرتبات العاملين بها ، ومخصصات النازلين فيها . فضلاً عن تزويد المكتبة بما يلزمها من ورق ودوي وحبر وأقلام ، إلى جانب شراء ما يلزم من بسط وسجاجيد وحصر وقناديل ، وترميم خزانات الكتب وما بها من كتب^(٥١) .

وبعد ، فمما لا جدال فيه أن الفضل يرجع إلى هذه المكتبات في العصر المملوكي

في صيانة وحفظ الكثير من تراثنا العربي والإسلامي ، من نفائس الكتب وروائع المخطوطات . مما نشر بعضه ولا يزال الكثير منه مخطوطاً وموجوداً في مكتبات العالم المختلفة . وقد بقيت هذه المكتبات عامرة طوال العصر المملوكي ، حتى دخل الأتراك العثمانيون الشرق العربي ، وقضوا على دولة المماليك في مصر والشام والحجاز ، واستولى الولاة العثمانيون وغيرهم على كثير مما حوته تلك المكتبات من كتب كانت تعج بها الخزانات المكتبية . ولا تزال مكتبات الاستانة تضم مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية القيمة ، ونالت المكتبات الأوروبية كثيراً من روائع المخطوطات مما تسرب إليها بطريقة أو بأخرى^(٥٢) .

وينبغي أن نشير إلى أنه وجدت في مدينة بيت المقدس في عصر سلاطين المماليك كثير من المكتبات الخاصة ، والتي حرص كثير من العلماء على تكوينها ، واقتناء الكتب النادرة فيها ، وتشير بعض المصادر إلى اعتزاز كثير من العلماء بتلك المكتبات التي اقتنوها وحرصهم على أن يراها غيرهم من المشتغلين بالعلم عندما يزورونهم في منازلهم^(٥٣) هذا فضلاً عن حرص كثير من هؤلاء العلماء على تزويد تلك المكتبات بأهمات الكتب سواء عن طريق الشراء أم النسخ ، بأن ينسخ الواحد منهم بنفسه بعضاً من الكتب ، أو يستأجر أحد الأشخاص ممن عرف عنه الاشتغال بالنسخ وحسن الخط والجودة ، كما تنافس كثير من العلماء في الحصول على كثير من الكتب بخطوط مؤلفيها أنفسهم وغالباً ما كان يتم ذلك بالشراء من ورثتهم عقب وفاتهم .، مثال ما جاء في الوثيقة رقم ٦١ من مجموعة وثائق الحرم القدسي الشريف . والتي تتضمن ثبناً بأسماء حوالي ١٣٠ كتاباً من تركة أحد علماء بيت المقدس في ذلك العصر ويدعى برهان الدين النصري وتبين اثمانها ، ومثلها الوثيقتان ١٨٠ ، ٥٣٢ ، وأمثلة هذه الوثائق لبيع التراكات التي تخص علماء بيت المقدس جاءت تحت عنوان « مخزومة » أو « ورقة مباركة »^(٥٤) . أو ربما حدث نوع من المهاداة بين العلماء في ذلك العصر مثلما يحدث في عصرنا الحالي ، كما تشير كثير من المصادر إلى حرص كثير من علماء بيت المقدس على نسخ كثير من كتب من سبقوهم وكتابة كثير من الحواشي عليها بخطوطهم ، ومنهم من كان يقع له ذلك الكتاب الذي نسخه بخط مصنفه فيشتريه ولا يترك النسخة الأولى ، إلى أن يقتني بخطوط المصنفين ما لا يعبر عن كثرته^(٥٥) . ومن أمثلة المكتبات الخاصة في مدينة بيت المقدس دار الكتب الفخرية ، وقفها القاضي فخر الدين أبو عبد الله بن فضل الله « ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م » والتي بلغ عدد مجلداتها نحو عشرة آلاف ، اقتسمها أفراد أسرة أبي السعود أصحاب الزاوية الفخرية بعد وفاته^(٥٦) .

أما بالنسبة للمكتبات لدى أهل الذمة ، فالحقيقة أنه وجد بمدينة بيت المقدس عدد كبير من الطوائف المسيحية المختلفة من كاثوليك وأرثوذكس ، وقد أدت كثرة تلك الطوائف إلى تعدد واضح فيما كانت تمتلكه كل طائفة منها من كنائس وأديرة ، والتي لعبت دوراً هاماً في الحياة التعليمية باعتبارها مراكز لتعليم ، كذلك كانت هذه الكنائس والأديرة على جانب كبير من الأهمية بما حوته من مكتبات ضخمة ، ويذكر لنا بعض الحجاج المسيحيين الذين زاروا بيت المقدس في عصر سلاطين المماليك ان كنيسة القديسة مريم بجوار كنيسة القبر المقدس كان بها مكتبة رائعة^(٥٧) . ومن أمثلة المكتبات المسيحية في بيت المقدس مكتبة البطريركية الأرثوذكسية التي تأسست سنة ١٤٥١م وتحتوي على نواذر الوثائق والمخطوطات . وهي مقامة في دار كبيرة في حارة النصرى قرب كنيسة القيامة إلى الشمال . ومكتبتها من أغنى المكتبات في الشرق من حيث قيمة المخطوطات المحفوظة بها والتي يرجع بعضها إلى العهد البيزنطي . ومخطوطات هذه المكتبة تعود في الواقع إلى مجموعة من المكتبات ضمت بعضها إلى بعض كانت نواتها مجموعة القبر المقدس ثم أضيف إليها مكتبة دير مارسابا الذي أنشئ فوق التلال الواقعة شرق القدس في القرن السادس الميلادي ، ثم مكتبة دير المصلبة الواقع غربي القدس ، ومجموعات صغيرة أخرى . ويبلغ عدد مخطوطات هذه المكتبة ٢٤٠٠ مخطوط بلغات مختلفة أهمها اليونانية والعربية والسريانية^(٥٨) . ويهمننا من هذه الوثائق والمخطوطات ما صدر منها في عصر سلاطين المماليك وهي عبارة عن عدة مراسيم سلطانية صدرت لبطاركة الروم الأرثوذكس بشأن حقوقهم في الأماكن المقدسة المسيحية ، أصدرها سلاطين المماليك أمثال الناصر محمد بن قلاوون ، والظاهر بريقوق ، والسلطان جقمق والأشرف برسباي ، والأشرف قايتباي وآخرها من السلطان قانصوه الغوري ، إلى جانب بعض الوثائق الأخرى الموجهة إلى بعض قضاة القدس كان الهدف منها إثبات حقوق الروم الأرثوذكس بشأن بعض الأماكن المسيحية المقدسة تجاه الطوائف المسيحية الأخرى ، إلى جانب حماية أبناء هذه الطائفة مما كانوا يتعرضون له على أيدي الموظفين المحليين من فرض ضرائب أو اتاوات غير مشروعة^(٥٩) . ومن حسن الحظ أن الرهبان اليونان تنبهوا إلى جمع شتاتها ، وجمع ما سلم من ذخائرها العلمية الثمينة والتي تغطي فترة طويلة من تاريخ بيت المقدس^(٦٠) . ومن المكتبات الهامة في مدينة بيت المقدس في العصر المملوكي أيضاً مكتبة دير ماريعقوب للأرمن ، وهو دير ضخم يمتد من القشلة بباب الخليل حتى باب داود أو باب صهيون ، وقد بني هذا الدير

سنة ١١٦٥ م . وفي هذا الدير أكبر مجموعة من الوثائق الأرمنية القديمة ، وفيه عدد كبير من الوثائق والمراسيم التي أصدرها الحكام المسلمون لجماعة الأرمن بالقدس الشريف ، ويبلغ عدد هذه الوثائق ٣٧٠٠ مخطوط محفوظة في كنيسة مارثيودور في داخل هذا الدير ، وقد بنيت هذه الكنيسة في القرن الثالث عشر الميلادي^(١١) . وهذا الدير نفسه هو مقر البطريركية الأرمنية في القدس . والمكتبة حافلة بالمصورات والرقوق التي ما تزال تنتظر الدراسة الشاملة والتقييم والنشر في لغاتها الأصلية . ومع ذلك فقد نشر عدد محدود من الوثائق العربية الإسلامية مترجما الى اللغة الأرمنية في كتابين أحدهما كتاب « التاريخ المتسلسل للقدس » للمؤرخ الأرمني أ . تير هوفانيسياننتس (A. Ter. Hovannesians) وقد صدر في القدس سنة ١٩٨٠ م . والكتاب الثاني هو « تاريخ القدس » للمؤرخ الأرمني ت . سافالانياننتس (T. Savalanians) وقد صدر في القدس أيضاً مجلدين سنة ١٩٣١ م . وقد أورد المؤلفان ترجمة لعدة مراسيم سلطانية مملوكية صادرة الى بطاركة الأرمن . كما نشرنا عدداً كبيراً من الوثائق التي أصدرها الولاة والموظفون المحليون ، مترجمة من العربية إلى الأرمنية كذلك ، وغالبها يتعلق بصورة عامة بحقوق الأرمن في الأماكن المقدسة ، والممتلكات الدينية ، وتعمير المؤسسات الدينية ، وقضايا الحج الى الأماكن المقدسة المسيحية ، وقضايا الضرائب والرسوم . وإن نظرة الى هذا العدد الضخم من الوثائق التي تحويها هذه المكتبة تعطينا فكرة عن أهمية دراسة هذه الوثائق ونشرها لأنها تغطي جانباً من تاريخ مدينة بيت المقدس^(١٢) .

كذلك من المكتبات الهامة في القدس مكتبة السريان الأرثوذكس في دير مار مرقص الذي يقع في حارة الشرف ، بين حارتي الأرمن واليهود . وفي هذا الدير مكتبة تعتبر من أقدم المكتبات في القدس . وهي ما تزال حافلة بالمخطوطات والرقوق والوثائق على الرغم من أن الجزء الأكبر من محفوظاتها قد ضل أو سرق أو تلف في أوقات شتى . ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أنه اطلع على فهرس المخطوطات المحفوظة في دير مار مرقص وقد أبقت الأيام منها على ثلاثمائة واثنين وستين مخطوطاً بكل حرص ، فوجد بينها عدد وافر مكتوباً على رق غزال ، ومنها ما هو مزين بالصور الرائعة ، وفيها صكوك وحجج قديمة ومراسيم سلطانية ورسائل هامة استند اليها بعض الباحثين في تأريخه لبيت المقدس بوجه خاص^(١٣) . ويهمننا من هذه المراسيم ما أصدره سلاطين المماليك أمثال السلطان ططر في ذي القعدة عام ٨٣٤ هـ . يسمح لسبعة من رجال دينهم بالتواجد في كنيسة القيامة على جاري العادة بذلك ، والمرسوم الصادر من السلطان الأشرف برسباي في ١٤ شعبان ٨٢٥ هـ المتضمن إعفاء

الرهبان الموارنة والسريان عند زيارتهم القدس من الرسوم التي كانت تحصل عند باب كنيسة القيامة وجميع المزارات المسيحية ، ومرسوم السلطان برسباي كذلك في نفس التاريخ ويوصي بالسريان وعدم معارضتهم في الموارث ، كذلك مرسوم السلطان جقمق بتاريخ ١٩ صفر ٩٤٨ بتعيين بطريك لهم بالقدس ومصر والشام ، ومرسوم السلطان قايتباي بتاريخ ١٧ جمادي الآخرة ٤٨٨هـ بأن يسيروا على عاداتهم القديمة من حيث الزيارات واعفائهم من الرسوم التي كانت تفرض عليهم ، وأخيرا مرسوم نفس السلطان بتاريخ ١٣ شعبان ٨٨٦ يمنع ان يعتدي أحد على دير السيدة للسريان^(٦٤) وللسريان الكاثوليك في القدس دير يدعى دير مار مبارك أو دير القديس بنيدكتوس . ويقع على رأس جبل يدعى باطن الهوا الى الشرق من قرية سلوان ، وفي هذا الدير مكتبة تحتوي على ما يقرب من ستة آلاف مجلد^(٦٥) .

كذلك من المكتبات الهامة التي وجدت في مدينة بيت المقدس مكتبة الرهبان الفرنسييسكان في دير صهيون الخاص بهم . وقد انتقلت هذه المكتبة الى دير اللاتين الذي يعرف ايضا باسم دير المخلص ودير الأفرنج في الشمال الغربي من حارة النصرى نتيجة لطرد العثمانيين لهم من علية صهيون الذي كان مقراً لهم منذ سنة ١٢١٩م ، حتى عام ١٥٥٩م وهو العام الذي شهد طردهم من صهيون^(٦٦) وعن هذه المكتبة يقول أحد الباحثين أنها من أغنى مكتبات العالم بما حوته من الوثائق المتعلقة بالأرض المقدسة ، وقد حافظ عليها أولئك الرهبان محافظة شديدة منذ أكثر من سبعة قرون ، ثم تفرغ بعض علمائهم منذ سنة ١٩٢٢م لنشر فهرس مستوفي لتلك الوثائق بلغتها العربية الأصلية مع ترجمتها إلى اللغة الايطالية . وتحتوي خزائن الرهبان الفرنسييسكان من هذا القبيل على الفين وستمئة وأربع وأربعين وثيقة يرتقي تاريخ أقدمها إلى عهد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين « ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م - ٧٧٨هـ / ١٣٧٧م » ، ويشاهد المطالع المدقق في هذا الفهرس صور الوثائق والفرمانات ونصوصها مع توقيع الخلفاء والسلاطين والملوك المسيحيين اللذين كان يرجع أمر الأراضي المقدسة اليهم في تلك الحقبة^(٦٧) .

وهذه الوثائق تتكون من مجموعتين : الأولى مكتوبة باللغة العربية وتتعلق بنشاط الرهبان الفرنسييسكان في فلسطين بوجه عام وبيت المقدس بوجه خاص منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري حتى عهد السلطان قانصوه الغوري . والثانية مكتوبة باللغة التركية وتتعلق بنشاطهم خلال فترة السيادة العثمانية على فلسطين ، وقد قام الرهبان الفرنسييسكان خير قيام على حفظ هذه الوثائق ، فوصل إلينا قدر كبير منها سالما وفي صورته الأصلية . وبعد نشوب حرب فلسطين عام ١٩٤٨م وقيام دولة

إسرائيل ازداد حرصهم عن ذي قبل على هذه المجموعة النادرة من الوثائق وخاصة بعد ما رأوا ما قام به الصهاينة من تحويل مسجد النبي داود الى معبد يهودي ، فقاموا بنقلها وحفظها بمعهد الآباء الفرنسيسكان للدراسات الشرقية بالقاهرة^(٦٨) . وتضم مكتبة الآباء الفرنسيسكان كتباً ووثائق ثمينة في شتى العلوم واللغات ، ومعظمها يتركز حول تاريخ مدينة بيت المقدس ، كما انها غنية بوجه خاص بتاريخ الشرق الدينية والمدنية ، وبالكُتب الخاصة بدراسة اللغات السامية القديمة . والحقيقة ان الرهبان الفرنسيسكان لم يحتفظوا بالوثائق العربية بكل عناية فحسب ، بل أنهم فهرسوها ونشروا عدداً لا بأس به منها . وكان أول من فعل ذلك منهم هو الأب كاستيلاني الذي وضع فهرساً شاملاً لمجموعة الوثائق العربية والتركية مع تعريف موجز لكل وثيقة ، وقد نشر هذا الفهرس في القدس عام ١٩٢٢م ويضم الفهرس ٨٣ وثيقة عربية منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس حتى عهد السلطان قانصوه الغوري اي حتى سنة ٩١٩هـ . وقد أكمل الأب ريشياني ما قام به كاستيلاني بنشر ما عثر عليه من الوثائق العربية من عهد الأشرف شعبان ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م ، حتى العام الرابع عشر من سلطنه الأشرف قايتباي ٨٥٨هـ / ١٤٨٠م . وقد صدر مؤلف الأب ريشياني في القدس أيضاً عام ١٩٣١م . وهو يحتوي على ٢٦ وثيقة بنصها الكامل مع ترجمة لها باللغة الايطالية ، مع تعليقات وشروح على كل وثيقة . ومع ان الفهرس الذي أصدره كاستيلاني يشمل المراسيم السلطانية منذ عهد بيبرس وحتى عهد الغوري إلا أنه يبدو ان المراسيم نفسها التي صدرت منذ عهد بيبرس وحتى عهد الأشرف شعبان قد فقدت ، وكذلك يقال بالنسبة التي صدرت في أواخر عهد قايتباي وعهد قانصوه الغوري لأن الأب ريشياني لم ينشرها في كتابه المشار اليه^(٦٩) .

غير ان التعريف بهذه الوثائق ونشر ما نشر منها انما تم في إطار كتابه تاريخ الآباء الفرنسيسكان بالأراضي المسيحية المقدسة ، وذلك بقصد الاستشهاد بها على مدي ما كانوا يتعرضون له من اضطهاد ديني على يد السلطات المملوكية والعثمانية ، فجميع هذه الدراسات التي قام بها بعض آبائهم تتسم بالروح الدينية الصارخة وتعالج تاريخ ونشاط الرهبان الفرنسيسكان بالأراضي المسيحية المقدسة من زاوية دينية صرفة^(٧٠) ويجب علينا أن نشير إلى أنه إذا كان الفرنسيسكان في بيت المقدس قد اعتبروا ان ما تفرضه الدولة المملوكية عليهم من رسوم ومقررات نظير الحج نوعاً من الضرر الواقع عليهم فان هذه الرسوم والمقررات كانت تفرض على غيرهم من أبناء الطوائف المسيحية الأخرى ، وذلك راجع إلى حالة التدهور الاقتصادي الذي عانت

منه سلطنة المماليك منذ أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، بسبب كثرة الحروب التي خاضتها الدولة لتأمين حدودها الشمالية من جهة ، ولصد غارات القراصنة من الفرنج من جهة أخرى فضلاً عن تحول طرق التجارة الدولية عن ممتلكاتهم بواسطة البرتغاليين . أما ما نسبوه للمماليك من سوء معاملتهم لهم ، فقد كان هذا بسبب دورهم السياسي الذي لعبوه كممثلين للفرنج وجواسيس لهم يطلعون الغرب الأوروبي على نقاط الضعف للدولة ، بالإضافة الى محاولاتهم المتكررة الاتصال بالحبشة عن طريق الرهبان الأحباش الموجودين في بيت المقدس ، للمشاركة في الحروب الصليبية ضد سلطنة المماليك ، وأهم من ذلك ما قام به أبناء هذه الطائفة من محاولات لتنصير المسلمين وهو أمر لم تكن سلطنة المماليك بصفتها حامية الإسلام والمسلمين تستطيع السكوت عليه^(٧١) . والحقيقة أن هذه الوثائق في حاجة إلى الجهود المتكاثفة من الباحثين للعمل على نشرها بموضوعية تامة لأنها تكشف كثيراً من أوجه نشاط هؤلاء الرهبان في شتى مجالات الحياة وعلاقاتهم بجيرانهم في القدس بوجه عام وفلسطين بوجه خاص من مسلمين ومسيحيين .

ونعود إلى هذه الوثائق فنقول : إنه خلال مدة إقامة الرهبان الفرنسيين في ديرهم في جبل صهيون أولاً ، استطاعوا ان يحصلوا أولاً من السلطات الأيوبية في عام ١٢٤٥م على حق توليتهم رعاية بعض الأماكن المقدسة في بيت المقدس ، وفي عام ١٢٣٥م أُتيحت لهم فرصة توسيع مقر إقامتهم الأول وبناء دير صهيون الذي ضم عليه صهيون وكنيستها التي أعادوا بناءها ، وكذلك المقدسات المسيحية الأخرى المجاورة لها فوق جبل صهيون في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون^(٧٢) . وهذه الوثائق تشتمل على :

- ١ - مراسيم سلطانية عامة ، صادرة من سلاطين المماليك الى رؤساء دير صهيون ، وهي مراسيم تقرر كل ما استقر عليه الأمر بشأنهم في عهد هؤلاء السلاطين .
- ٢ - مراسيم سلطانية خاصة تعالج موضوعاً معيناً او شكوى معينة رفعت للسلاطين للنظر فيها .
- ٣ - مراسيم صادرة عن نواب القدس ، وهي بمثابة أوامر تنفيذية تأذن للرهبان بتنفيذ القرارات السلطانية التي نصت عليها المراسيم السلطانية السابقة .
- ٤ - حجج وفتاوي ومحاضر شرعية صادرة من قضاة القدس ومشايخ الإسلام فيها ، تسمح لهم بعمارة أو ترميم كنائسهم وأديرتهم .
- ٥ - حجج شرعية صادرة من قضاة القدس تتعلق بشئونهم المدنية التي مثل الفصل في المنازعات التي تنشب بينهم وبين الأهالي بفلسطين ، أو توثيق

العقارات والممتلكات التي تؤول اليهم عن طريق الشراء^(٧٣) .

ولقد كثر النوع الأول من هذه المراسيم ، وهو أهم هذه الوثائق ، وإن تعددها يرجع إلى أن الرهبان الفرنسيين حرسوا أشد الحرص مع بداية عهد كل سلطان جديد على استصدار مرسوم عام ، يحمل اسمه وتوقيعه ويقرر ما سبق أن منحه لهم أسلافه من السلاطين من امتيازات وإعفاءات وحقوق ، كما يقرر رفع المظالم عنهم^(٧٤) . وتدور المراسيم كلها إجمالاً حول الموضوعات التالية :

١ - حرية التعبد للرهبان وعدم التعرض لهم في زيارة الأماكن المسيحية المقدسة ، واعفاؤهم من أي مكوس تجبى عند زيارتهم لكنيسة القيامة وغيرها من المزارات المسيحية بالمدينة وغيرها .

٢ - معالجة شئون حياتهم ومعاشهم وتقرير الإعفاءات المالية لهم في حالات كثيرة وعديدة منها السفر الى الخارج والعودة الى فلسطين ، وحرية التنقل داخل فلسطين ، وعدم جباية اية اتاوات او مقررات مالية منهم عند ترميم منازلهم أو في مناسبات معينة كمناسبة تولية نائب جديد للقدس ، والأعفاء الجمركي ، وعدم فرض قيود على نقل المواد الغذائية لهم داخل فلسطين ، وعدم التعرض لهم في أموالهم وممتلكاتهم وشئونهم الخاصة ، وتأمين سلامتهم الشخصية .

٣ - عدم مسئوليتهم إزاء ما يحدث من غارات المتجرمة في البحر من الأفرنج على سفن المسلمين أو ثغورهم .

٤ - السماح لهم بترميم كنائسهم .

والحقيقة انه تعددت المكتبات لدي الطوائف المسيحية المختلفة بمدينة بيت المقدس في ذلك العصر ، تعدد تشهد عليه كثرة تلك المكتبات من جهة وكثرة ما احتوته من ذخائر الكتب من جهة أخرى ، ولا شك ان هناك اديرة ومؤسسات مسيحية أخرى فيها وثائق عربية أخرى بالإضافة الى الوثائق الأخرى وبخاصة منها ما يتعلق بمباحث الديانة المسيحية كالعبادات والطقوس الدينية وتواريخ القديسين والتراتيل والترانيم ونسخ مختلفة من الانجيل وشروحه وتفسيره ، مثل مكتبة الرهبان الدومينيكان خارج باب العمود ، وهي مكتبة ضخمة ، ومكتبة الآباء البيض ، ومكتبة رهبان القديس بندكت بجبل الزيتون وغيرها^(٧٥) . وهي بلا شك تعكس لنا مدى كلف أبناء الطوائف المسيحية وانصرافهم إلى تأسيس المكتبات الخاصة في كنائسهم وأديرتهم ومدارسهم وبيوتهم ، والتي يعود الفضل فيها إلى رؤساء تلك الطوائف الدينية ولا سيما علماء الرهبان في الأديار ، فان هؤلاء بجانب حرصهم على اقتناء الكتب ، فهم يقضون أغلب النهار والليل في نسخ المخطوطات ، ويتنافسون في

كتاباتهما ويحرصون على صيانتها . وقد بلغ حرص بعض الطوائف كاليعاقبة من العناية بالمخطوطات وحفظها حداً كبيراً . لدرجة أنهم كانوا يقومون بجمع تلك النفائس ووضعها في أديرتهم حتى تكون تحت أيدي الدارسين بها^(٧٦) .

كذلك تشهد المكتبات الأوروبية الحالية بما حوته من كنوز المخطوطات والوثائق التي سجل عليها اسم الدير الذي وجدت به أو نسخت فيه ، والتي ترى إلى اليوم في هذه المكتبات . ومن الطبيعي ان يكون لكل مكتبة من تلك المكتبات أمين مكتبة أو خازن كتب حسب مصطلح ذلك العصر ، وعادة ما يكون كبير الشمامسة والذي اشترط فيه ان يكون على قدر كبير من التعليم والدراسة^(٧٧) .

وبالإضافة إلى تلك المكتبات وجدت ايضا مكتبات خاصة ، وهى التي أقامها أفراد من الأسرات الغنية ، أو ربما توارثوها عن آبائهم ، ومن الطبيعي أن يحرص هؤلاء على تلك الكنوز التي خلفها لهم الآباء والأجداد ، ولا سيما رجال الدين منهم الذين كانوا يتنافسون في نسخ تلك المخطوطات ويحرصون على صيانتها وكذلك اقتنائها ، ويرجع السبب في كثرة تلك المكتبات في الفترة التي نتحدث عنها الى ان مصانع الورق التي وجدت في المدن القريبة من مدينة بيت المقدس ، كانت تمد المشتغلين ببيع أو نسخ أو تأليف الكتب بكميات وفيرة من الورق بمختلف أنواعه المعروفة في ذلك الوقت ، مما ساعد على انتشار الكتب وتجارتها^(٧٨) .

وأخيراً تجب الإشارة إلى أنه لم يرد أي ذكر في مصادر ذلك العصر ولا في المراجع التي تحدثت عن اليهود في مدينة بيت المقدس في هذه الفترة عن وجود مكتبات لديهم ، ولكن من المرجح أن تكون لديهم بعض المكتبات . وذلك بسبب وجود أكاديمية لليهود في بيت المقدس منذ العهد الأيوبي وكانت محور الحياة العلمية لليهود بالمدينة ، بالإضافة إلى جانب وجود كنيس العهد الأيوبي وكانت هي محور الحياة العلمية لليهود بالمدينة ، بالإضافة إلى جانب وجود كنيس خاص بهم ، وبالرغم من قلة أعداد اليهود بالمدينة في ذلك العصر بشكل واضح ، إلا أنه ليس من المعقول ألا يكون لديهم مكتبة وقد كانت المكتبات في ذلك العصر هي السمة البارزة في المؤسسات التعليمية .

وفي الختام نستطيع أن نخلص من هذا العرض إلى أن مدينة بيت المقدس قد نعمت في ظل حكم سلاطين المماليك بكثير من الأمن والطمأنينة والثراء والازدهار والذي انعكس بشكل واضح فيما خلفه لنا ذلك العصر من كثرة المنشآت والمؤسسات التعليمية والخيرية ، والتي كانت مراكز نهضة ثقافية بارزة لعبت فيها المكتبات دوراً حيويًا ونشطاً لأهميتها كمراكز إشعاع فكري ، فضلاً عما هيأته لطلبة العلم والعلماء والدارسين من فرص لتحصيل أنواع المعارف المختلفة ، وما وفرته لهم الأوقاف من

سبل العيش الكريم والذي أتاح لهم الفرصة كل الفرصة للتفرغ للعلم والتحصيل والدراسة لذا لا عجب ان كثر انتاجهم العلمي الذي ازدانت به مكتبات المدينة وغيرها من المدن الأخرى ، هذا فضلاً عن أن تغلب الطابع الديني على احوال المدينة قد جعلها مقصداً لكثير من العلماء وكبار الأمراء الذين آثروا العيش فيها بعيداً عن صخب العاصمة المملوكية ، وما صاحبه من تقلبات في الأوضاع السياسية ، كل ذلك كان ولا شك لابد ان يؤتي ثماره .

الهوامش

- ١ - عبد اللطيف ابراهيم «دكتور» : المكتبة المملوكية ، طبع دار الشعب بالقاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٢ .
 - ٢ - ابن جماعة «بدر الدين محمد بن سعد الله ت/ ٧٣٣ م» : تذكرة السامع والمتكلم ، حيدر اباد الدكن ، ١٩٣٨م ، ص ١٦٣ - ١٩٣ ، السبكي «تاج الدين عبد الوهاب ت ٧٧١ هـ» : معيد النعم ومبيد النقم دار الكتاب العربي بالقاهرة ، ١٩٤٨م ، ص ١١١ - ١٣٣ .
 - ٣ - عبد اللطيف ابراهيم : المرجع نفسه ، ص ١٢ .
 - ٤ - السخاوي «شمس الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٩٠٢ هـ» : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، طبع مكتبة القدس بالقاهرة ، ١٣٥٤ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .
 - ٥ - عبد اللطيف ابراهيم : نفسه ، ص ١٣ ، ١٤ .
 - ٦ - آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، القاهرة ١٩٤٨ ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .
 - ٧ - سعيد عبد الفتاح عاشور «دكتور» : حضارة ونظم اوربا في العصور الوسطى . دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٦ ، ص ٢٦٧ ، الجامعات الاوروبية في العصور الوسطى ، ص ١٥٦ .
 - ٨ - Thompson : The medieval Library , Chicago , 1939 , P. 368
 - ٩ - فؤاد عبد المعطي الصياد «دكتور» : المغول في التاريخ ، بيروت ١٩٧٠م ، ج ١ ، ص ٢٣٠ - ٢٥٠ .
 - ١٠ - عبد اللطيف ابراهيم : نفسه ، ص ١٤ .
 - ١١ - قاسم عبده قاسم «دكتور» : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، دار المعارف ١٩٧٩ ، ص ١١ .
 - ١٢ - مجير الدين الحنبلي «ت ٩٢٨م / ١٥١٢م» : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، القاهرة ١٢٨٣ هـ ، ج ٢ ، ص ٥٦١ - ٥٩٦ .
 - ١٣ - سليمان اسحاق عطية : تاريخ التعليم في فلسطين على عهد سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ، لم تنشر بعد ، ص ٢٣ .
- Van Berhcham : Jerusalem Ville. Le Caire 1922 , Vol. I , p286

- ١٤ - السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ١٢٣ ، مجير الدين الحنبلي :
الأنس الجليل ، ج ٢ ، ص ٥٦١ - ٥٩٦ .
- ١٥ - محمد كرد علي : خطط الشام ، طبع دمشق ١٩٢٥م ، ج ٦ ، ص
١١٧ .
- ١٦ - علي السيد علي «دكتور» القدس في العصر المملوكي ، دار فكر للدراسات
والنشر ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١٢٢ .
- ١٧ - ابن حجر العسقلاني «د . شهاب الدين احمد ت ٨٥٢ هـ» «إنباء الغمر
بأنباء العمر ، القاهرة ١٩٧١م ، ج ١ ، ص ٣٧ ، النعيمي : الدارس
في تاريخ المدارس ، دمشق ١٩٤٨ ، ج ١ ، ص ٧٨ - ١٤١ .
- ١٨ - ابن كثير «عماد الدين ابو الفدا اسماعيل ت ٨٤٥ هـ» : البداية والنهاية
في التاريخ ، القاهرة ١٩٣٩ ، ج ١٤ ، ص ٣٧ ، المقرئ : تقي الدين
احمد علي ت ٨٤٥ هـ «كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق د .
محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٤٢ - ١٩٧١م ، ج ٢ ، قسم ٣ ،
ص ٦٣٧ ، ابن تغري بردي «جمال الدين يوسف ابو المحاسن ت
٨٧٤ هـ» : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، دار الكتب المصرية
١٩٥٦م ، ج ١ ص ٢١٤ ، ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة
الثامنة ، طبع حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٨ هـ ، ج ١ ص ٤٤٩ ، مجير
الدين الحنبلي : نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٥٥ - ٤٥٧ .
- ١٩ - عن هذه الاسرار العلمية ونتائجها العلمي راجع ، علي السيد علي :
القدس في العصر المملوكي ، ص ١٢١ - ١٣٧ .
- ٢٠ - محمد كرد علي : خطط الشام ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .
- ٢١ - محمود العابدي : قدسنا ، من منشورات جامعة الدول العربية قسم البحوث والدراسات
الفلسطينية ، ١٩٧٢م ، ص ٧٩ .
- ٢٢ - مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ ، ٣٨٦ ، ص ٤٤٣ - ٤٤٥ .
- ٢٣ - كرد علي : نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ، عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، طبع دار الكتب
المصرية ، ١٩٧٤م ، ص ٢٦٢ ، العابدي : قدسنا ، ص ١٢٣ .
- ٢٤ - العسيلي كامل جميل : «دكتور» : وثائق مقدسية تاريخية ، عمان . ١٩٨٣ . المجلد
الأول ، ص ٣٩ - ٤٠ .
- ٢٥ - محمد عيسى صالحية «دكتور» : من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية ، حولية كلية
الآداب ، جامعة الكويت ، الرسالة السادسة والعشرون ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥م ، ص ٩ -
١٧ .
- ٢٦ - العسيلي : نفسه : ج ١ ، ص ٤٤ - ٤٥ .
- ٢٧ - محمد عيسى صالحية ، نفسه ، ص ١١ .
- ٢٨ - المرجع نفسه ، ص ١٤ - ١٥ .
- ٢٩ - العسيلي : نفسه ، ج ١ ، ص ٥٠ - ٥١ .

- ٣٠ - عبد اللطيف إبراهيم : نفسه ، ص ٣٦ - ٣٨ ، كرد على : نفسه ، ج ٦ ، ص ١٩٢ .
- ٣١ - عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة السلطان قايتباي دراسة وتحليل المدرسة بالقدس والجامع بغزة ، القاهرة ٩٦١ ، ص ٤١١ المكتبة المملوكية ، ص ٣٢ .
- ٣٢ - السبكي : معيد النعم ، ص ١٠٥ ، عبد اللطيف إبراهيم : دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٣٦ - ٣٧ .
- ٣٣ - عبد اللطيف إبراهيم : دراسات في الكتب ، ص ٣٧ ، المكتبة المملوكية ، ص ٣٦ - ٣٧ .
- ٣٤ - عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص ٢٨ .
- ٣٥ - عن أهم علماء بيت المقدس ومؤلفاتهم المختلفة في ذلك العصر راجع : علي السيد : القدس في العصر المملوكي ، ص ١٢٦ - ١٥٦ .
- ٣٦ - عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٤٠ .
- ٣٧ - المرجع السابق ، ص ٤٢ .
- ٣٨ - المرجع السابق نفسه ، ص ٤٣ .
- ٣٩ - مجير الدين الحنبلي : نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ - ٣٩٦ ، اللقيمي « الشيخ مصطفى اسعد ت ١١٧٨هـ » كتاب لطايف أنس الجليل في تحايف القدس والخليل ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٣ جغرافية ، ورقة ٢٣ - ٣٥ .
- ٤٠ - ابن جماعة : نفسه ، ص ١٧٠ .
- ٤١ - عبد اللطيف إبراهيم : نفسه ، ص ٥٩ - ٦١ .
- ٤٢ - ابن جماعة : نفسه ، ص ١٦٧ - ١٦٨ ، المرجع السابق ، ص ٦١ .
- ٤٣ - عبد اللطيف إبراهيم : نفسه ، ص ٦١ .
- ٤٤ - السبكي : نفسه ، ص ١١١ .
- ٤٥ - عبد اللطيف إبراهيم : نفسه ص ٦٢ .
- ٤٦ - سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .
- ٤٧ - السبكي : نفسه ، ص ١١١ .
- ٤٨ - المصدر السابق ، نفسه ، ص ١٣١ - ١٣٢ ، السخاري : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ .
- ٤٩ - السبكي : نفسه ، ص ١٣٢ .
- ٥٠ - عبد اللطيف إبراهيم : نفسه ، ص ٧٨ - ٧٩ .
- ٥١ - عبد اللطيف إبراهيم : نفسه ، ص ٨٠ - ٨١ ، محمد محمد أمين « المركز الطبي » : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر في العصر المملوكي ، القاهرة ١٩ ، ٢٤٠ .
- ٥٢ - عبد اللطيف إبراهيم : نفسه ، ص ٨٤ - ٨٥ .
- ٥٣ - مؤلف مجهول : رحلة إلى فلسطين والقدس ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٧٥٤ جغرافية ، ظهر ورقة ٦٥ ، الكتبي « فخر الدين محمد ت ٧٦٤هـ » : فوات الوفيات ، طبع بولاق ، ١٢٨٣هـ ، ج ١ ، ص ٥٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ .
- ٥٤ - العسيلي : نفسه ، ص ٥٠ ، محمد عيسى صالحية : نفسه ص ١٥ .
- ٥٥ - ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٣ .

- ٥٦ - فيليب دي طرازي : خزائن الكتب العربية في الخافقين ، طبع بيروت ، ١٩٤٧م ، ج ١ ، ص ٢٩٤ .
- ٥٧ - Warren : The Survey of western palestine, London 1884 , p. 31
- ٥٨ - فيليب دي طرازي : نفسه ج ٢ ، ص ٤٧٥ ، العسيلي : نفسه ، ص ٥٤ - ٥٩ .
- ٥٩ - العسيلي : نفسه ، ص ٥٩ .
- ٦٠ - فيليب دي طرازي : نفسه ج ٢ ، ص ٤٧٥ .
- ٦١ - العسيلي : نفسه ، ص ٦٥ .
- ٦٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٦٦ - ٦٨ .
- ٦٣ - فيليب دي طرازي : نفسه ج ٢ ، ص ٤٧٩ .
- ٦٤ - عارف العارف : المسيحية في القدس ، القدس ١٩٥١م ، ص ١٢٣ .
- ٦٥ - العسيلي : نفسه ، ص ٧٢ .
- ٦٦ - عارف العارف : المرجع السابق ، ص ٨١ ، العسيلي : نفسه ص ٥٩ .
- ٦٧ - فيليب دي طرازي : نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ .
- ٦٨ - أحمد دراج «دكتور» : وثائق دير صهيون بالقدس الشريف ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨م ، ص ١٧ .
- ٦٩ - العسيلي : نفسه ، ج ١ ، ص ٦٠ - ٦١ .
- ٧٠ - دراج : نفسه ، ص ١٨ - ٢١ .
- ٧١ - عن دور الفرنسيين في هذا المجال راجع : علي السيد : نفسه ، ص ٩٣ - ٩٩ .
- ٧٢ - Patrem (M. L) : La custodie Franciscane de Terre Sainte, Paris 1879 , PP. 7 - 13.
- ٧٣ - دراج : نفسه ، ص ٤٣ - ٤٧ ، العسيلي : نفسه ، ج ١ ، ص ٦١ .
- ٧٤ - العسيلي : نفسه ، ج ١ ، ص ٦١ - ٦٢ .
- ٧٥ - المرجع السابق ، ص ٥٢ - ٦٠ .
- ٧٦ - فيليب دي طرازي : نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٤٩ .
- ٧٧ - حبيب الزيات : خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ، مطبعة المعارف بمصر ، ١٩٥٢م ، ص ١١٩ ، Bliso : The Religion of Modern Syria and Palestine , London 1938 , p. 116
- ٧٨ - فيليب دي طرازي : نفسه ج ٢ ، ص ٤١٣ ، عمر عبد السلام تدمري : الحياة الثقافية في طرابلس الشام في العصور الوسطى ، بيروت ١٩٧٠م ، ص ٢٢ .

